بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار أما بعد ..

فإن المتأمل في سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والناظر في هديه، يجد أن مِن الأصول التي جاء بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند الله تعالى وأَمَر بها الأمة: المفاصلة، نعم المفاصلة بين الجاهلية والإسلام في الاعتقادات والعبادات والأخلاق ونحوها.

ولذلك كانت الهداية إلى الإسلام، والتوفيق لاعتناقه، والعمل به؛ علامة خيرٍ ودليل فلاح، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ » [رواه الحاكم وصححه].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ » [رواه أحمد]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ » [رواه مسلم].

أي: دخل في الإسلام، واستسلم لله جَلَّ وَعَلَا، وانقاد لطاعته -سبحانه وتعالى-، وبَرِئ من أعدائه.

مكانة المرأة في الإسلام

وإن مما خالف فيه الإسلام الجاهليّين وتميّز به عنهم:

العناية بجميع فئات المجتمع ورعاية حقوقهم، حيث جعل الإسلام لكل فئة ما يناسبها ويليق بها من الأحكام والحقوق.

ومن هذه الفئات: المرأة، فإن للمرأة في ديننا منزلة عالية ومكانة كبيرة، ومن تأمل النصوص الشرعية كتابًا وسنة، وجد فيها من الاهتمام بالمرأة وصيانتها والعناية بحقوقها، والمنع من ظلمها أو استغلال ضعفها ما لا يُحصى، حيث جعل الإسلام للمرأة في نفسها، ولمن تعيش معهم من الضوابط العظيمة، والتوجيهات الكريمة ما يضمن لها السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا فإن على المرأة المسلمة أن تُدرك إدراكًا جازمًا أن سعادتها وكرامتها مرتبطة تمام الارتباط: بطاعتها لربها واستقامتها على دينها.

وهذا مبدأٌ عظيم يجب على ولي أمر الفتاة أو المرأة أن يغرسه في نفس موليته.

فمن فعل ذلك فقد استجاب لنداء الله جَلَّ وَعَلَا في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم:٦].

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في معنى الآية: «علّموهم وأدبوهم».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «مروهم بطاعة الله وعلِّموهم الخير».

معالم في تكريم الإسلام للمرأة

وإن من جوانب اهتمام الإسلام بالمرأة اهتمامًا لا نظير له على مر العصور، والتي بالعلم بها والوقوف عليها وبيانها؛ تُدفع الإشاعات، وتُرد المطاعن التي تُثار على ديننا من دعوى كَبْت المرأة، أو إهدار حقوقها.

فمن هذه المعالم العظيمة والجوانب الكبيرة:

أن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل في شأن المرأة وأحكامها سورًا وآيات في كتابه جَلَّ وَعَلَا، ولكل امرئ عاقل ولا أقول مسلم، أن يتأمل في سورة النساء، والنور، والأحزاب، والطلاق وغيرها، فسيجد ما يُبهر عقله، ويتناسب مع فطرته التي فطره الله جَلَّ وَعَلَا عليها.

وكذلك: ترتيب الأجور العظيمة، والعناية بتنشئة الفتاة النشأة الطيبة؛ مَعْلَمٌ عظيمٌ من معالم تكريم الإسلام للمرأة، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى يدركا -يعني حتى يبلُغا- دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كهاتين » [رواه الترمذي وأصله في مسلم]، فهذا يدل على أن من أبواب مرافقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: العناية بالبنات.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، أَوِ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ، وَاتَّقَى اللهَ فِيهِنَّ، دَخَلَ الْجَنَّةَ » وفي رواية: « فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ » [رواه الترمذي]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبينًا أن العناية بالبنات والقيام بحقوقهن من أسباب الوقاية من النار، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَنَاتِ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ» [رواه الترمذي].

إن الإحسان إلى البنات وتقوى الله فيهن، وتأديبهن يقتضي من كل أبٍ وأم التعاون على رعاية البنات من حيث تعليمهن أحكام دينهن، وتعريفهن بالحلال والحرام، ومنعهن من التبرج والسفور، وإلزامهن بالحجاب الشرعي، وحسن معاملتهن، فهكذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع بناته، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وكانت -أي فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- إذا دخلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام إليها فقبَّلها، وأجلسها في مجلسه» [رواه الترمذي].

نعم، كذا فلتكن معاملة الأب لبناته، أما التشاؤم منهن، أو تطليق الزوجة من أجل إنجاب البنات فتلك خصلةٌ جاهلية ذمها الله جَلَّ وَعَلَا ونهى عنها، وحذر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بغض البنات أو كرههن فقال: « لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ ، فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ » [رواه أحمد].

توجيهات الإسلام وصيانته للمرأة

♦ ومن تكريم الإسلام للمرأة: الأمر بالإحسان إليهن في كافة مراحلهن التي يمررن بها أُمًّا كانت المرأة، أو بنتًا، أو أختًا، أو زوجةً، أو حتى خادمة.

♦ ومن ذلك أيضًا: أن الإسلام كرّم المرأة بأن سد كل طريقٍ يؤدي إلى انحرافها أو فتنتها أو الافتتان بها، ففي الحديث مع الرجل أمر الله جَلَّوَعَلَا المرأة بالانضباط ونهاها عن الخضوع بالقول فقال: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

ونهاها عن إظهار زينتها أمام الأجانب فقال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور:٣١]. أيًّا كانت هذه الزينة، وفي أي موضع، سواء كان في الوجه، أو العباءة، أو اليد ونحوها.

أمرها الله جَلَّوَعَلَا بستر بدنها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[الأحزاب:٥٩].

أمرها جَلَّوَعَلَا بالقرار في البيت فقال: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[الأحزاب:٣٣].

ونُهيت المرأة في ديننا, عن الخلوة بالأجانب سواء كان هذا الرجل الأجنبي سائقًا، أو طبيبًا، أو موظفًا، أو حتى أقاربها الأجانب عنها.

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ » [رواه البخاري ومسلم].

ونُهيت المرأة في ديننا صيانة لها، وحفاظًا عليها عن السفر بلا محرم، ولو لحجٍ أو عمرة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ لَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا رَجُلٌ ذُو حُرْمَةٍ مِنْهَا » [رواه مسلم].

وهكذا، نهى الله جَلَّوَعَلَا المرأة عن اختلاطها بالرجال،

أوخلع ثيابها في غير بيتها، وتوعّد جَلَّوَعَلَا القاذفين لها بالسوء؛ باللعنة والعذاب.

فهذه تدابير ديننا لنسائنا، وهذه التوجيهات السديدة، والإرشادات الكريمة؛ صمام أمانٍ للمرأة، بل للمجتمع بأسره من أن تحل به الشرور والفتن، أو تنزل به البلايا والمحن، والأخذ بها لازم، والعمل بها واجب؛ لأنها من عند ربنا -تبارك وتعالى- الذي خلقنا وهو أعلم بما يُصلحنا وينفعنا.

مسؤولية المرأة

إن بناء المجتمعات الإسلامية، والقيام بها لم يكن في يومٍ من الأيام مقتصرًا على الرجال فحسب دون النساء، بل كان للمرأة أثرًا بالغًا في ذلك، وذلك بقيامها بمسؤوليتها المأمورة بها، سبّاقةً إلى كل خير، عاملةً في كل سبيلٍ يُناسب أنوثتها، ويتوافق مع طبيعتها وضعفها، كل ذلك في ظل تعاليم دينها والاستقامة على طاعة ربها.

وقد نبه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على رسالة المرأة في هذه الحياة في نصوص عديدة منها:

قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » [رواه البخاري ومسلم].

وهذا من رحمة الله جَلَّوَعَلَا بالمرأة أن فتح لها كثيرًا من أبواب الخير وحثها على المساهمة النافعة في تحقيق الحياة الفاضلة لأسرتها ولمجتمعها.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سلسلة مطويات شبكة بينونة

الدُّرَّةُ المَصُونَةُ في الإِسْلَامِ

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE